



صورة الجزائر من خلال مخطوط لأشعار الإنكشاريين

بالجزائر العثمانية (1516-1830)

The image of Algeria through a manuscript of the poems of the Janissaries

In Ottoman Algeria (1516-1830)

أ.د/ بوحبيب حميد

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

hamidbouhbib@yahoo.com

مراح ليلي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

merrah.leila@gmail.com

المرسل: مراح ليلي

النشر: 2022/10/06

القبول: 2022/10/01

الارسال: 2022/09/18

الملخص:

يعد علم الصورة، أو الدراسات التصويرية من بين أوسع ميادين الأدب المقارن لانشغالها بالآخر ولكونها المحدد الرئيسي لنوع العلاقة لكل تبادل ثقافي يعبر عن الهوية والغيرية في آن واحد. لقد أفرزت علاقة الجزائر بالدولة العثمانية منذ القرن 16م والتي قاربت ثلاثة قرون لتواجد العنصر التركي-العثماني على أرض الجزائر، أرضية خصبة لهذا النوع من الدراسات الأدبية. فعمدنا في بحثنا هذا الى رصد صورة الجزائر من خلال مجموعة من القصائد والأشعار والتي تعود الى الجنود الإنكشارية الذين استقروا بين أحضان الجزائر المحروسة وهي عبارة عن مخطوط تم ترجمته من العثمانية الى الفرنسية سابقا كما قمنا بترجمته إلى العامية الجزائرية وهذا بتصنيف مواضيعه الى التيمات التي هيمنت على معاني ودلالات الأشعار وهي المرأة والحياة الاجتماعية والجهاد البحري لإيالة الجزائر. وقد سعينا من خلال هذه الدراسة، رصد وتحليل الصورة التي كونها الأتراك عن الجزائر والأهالي من خلال علاقة "الانا" بالآخر" ومعرفة مجالات ودرجة التفاعل الاجتماعي بينهما من خلال هذا الرصيد الأدبي والموروث اللامادي لفئة الأتراك- العثمانيين بالجزائر

الكلمات المفتاحية:

الأدب المقارن، الأشعار الإنكشارية، صورة الجزائر، التفاعل الثقافي، أشعار الجهاد البحري، الموروث العثماني اللامادي.

Abstract:

Imagology, or imagological studies, is one of the broadest fields of comparative literature because of its concern with the other and because it is the main determinant of the type of dimension of interculturality that expresses the identity of the "self" and the "other" at the same time. The integration of Algiers under the Ottoman rule in the sixteenth century, during a period of about three centuries with the presence of the Turkish-Ottoman element on Algerian soil, produced fertile ground for this type of literary studies. The central point of our study focuses on the image of the Regency of Algiers contained in the corpus of poems of the Janissaries of Algiers. The manuscript of this important corpus, translated in the past from the Ottoman into French, was translated as part of this research, into the popular Algerian dialect. A prior thematic organization of the content of these poems made it possible to identify its three main themes namely: the image of the Algerian woman, social life, and the maritime jihad of the Regency of Algiers. We focused our research on the analysis of the image that the Turks portrayed about the Regency of Algiers and the local population more precisely, in this double correlation between the "self" and "the other". Thus, this study aims to identify the areas and degree of cultural interaction between these two social groups through this literary and intangible heritage bequeathed by the Janissaries of Algiers during the Ottoman period.

Keywords: Cultural Interaction, image, Comparative Literature, Ottoman Intangible Heritage, Janissary Poems, Maritime Dihad Poems

إن البحث في الصورة يحيلنا على معرفة صورة الآخر الأجنبي في النصوص الأدبية أو الأشعار أو غيرها من الفنون والإبداعات الثقافية، وبذلك فإن علم الصورة ينتج لنا معرفة الإنسان للإنسان، التي من خلالها يبرز لنا الجوهر المشترك للإنسانية الذي لا يتبلور إلا بالتفاعل مع الآخرين، ومن هنا ندرك أهمية الدراسات التصويرية التي بها تعرف كل أمة مكانتها لدى غيرها من الأمم، وبها كذلك ترى صورتها في مرآة آداب الشعوب الأخرى.

إن الدراسات حول صورة الجزائر في الآداب والمنجزات الفكرية التركية نادرة جدا، على الرغم من الوجود التركي الذي امتد إلى ثلاثة قرون بالجزائر (1516-1830م)، ولكن المعطيات التاريخية التي أنتجها التواجد العثماني بالجزائر أدت بذورها إلى إفراز نظرة مزدوجة بين الأتراك والجزائريين

فقد وقع اختيارنا على أشعار وأناشيد الجنود الإنكشاريين العثمانيين بالجزائر لأنها تختص في عرض صورة الآخر، وهي الجزائر التي أتوها مجندين فأقاموا بها ودافعوا عنها وحاربوا من أجلها وشاركوا أهلها حياتهم، فصاحبوهم وصاهروهم، وحاولوا الاندماج معهم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وفكريا... وهذا ما يبرهن على أهمية هذه الدراسة لأنها تمثل الأنا التركي العثماني في منظومة علاقات مع الآخر الجزائري.

علما أن الدراسات المتعلقة بالوجود التركي بالجزائر تكتسي طابعا تاريخيا بحثنا يتناول الجانب السياسي أو الاقتصادي أو العسكري، بينما بقيت الأبحاث حول الموروث الثقافي والأدبي والفكري العثماني بالجزائر محدودة، وهذا ما دفعنا للبحث عن علاقات التأثير والتأثر بين الشعبين التركي والجزائري والصورة التي رسمها الأتراك للجزائر في أشعار جنود الإنكشارية. وتتمحور دراستنا في الأساس على مخطوط عثماني، موجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت عنوان " أشعار وأناشيد الإنكشارية بالجزائر" تحت رقم 1817، من خلال دراسة جون دوني " Jean Deny « المستشرق الفرنسي. وهي عبارة عن أشعار شعبية تركية تنسب إلى الكاتب التركي "إبراهيم خوجة" الذي يكون قد ألفها عام 1784م بمناسبة تصدي إيالة الجزائر لحملات قصف الأسطول الأسباني لمدينة الجزائر ما بين (1783 - 1784م).

سنرصد صورة الجزائر من خلال المدونة المترجمة الى العامية الجزائرية في مذكرة الماستر، كما حافظنا على بنية الأشعار في هيأتها الأصلية (رباعيات تشبه نمط المربع في الملحون) وهذا من أجل مراعاة المعاني والدلالات بالإضافة للتعرف على الموروث الثقافي والفكري لفئة الأتراك القادمين من الأناضول إلى الجزائر، وفهمه والكشف عن صورة الجزائر التي شكّلها هذا الموروث وعمل على

ترسيخها في أشعار جنوده الإنكشاريين. نصبو كذلك من خلال هذا البحث الى الإجابة عن بعض الإشكاليات المتعلقة بالموضوع والتالي نلخصها فيما يلي:

- الكشف عن صورة الجزائر وتحليلها من خلال المدونة المدروسة والتي تتمثل في أشعار المخطوط العثماني المذكور وإسهامها في الكشف عن أحد وجوه الموروث العثماني اللامادي وربطها بالصورة التي تكونت لدى فئة الاتراك بالجزائر العثمانية.

1. مفهوم الصورة ومصادرها.

عرف علم دراسة الصورة الأدبية والذي يعد فرعاً من فروع مباحث الادب المقارن والذي ظهر في النصف الأول من القرن 19م ازدهاراً كبيراً خلال العقود الأخيرة، فقد حظي باهتمام كبير لأنه يفتح على الآخرويهتم: " بدراسة وتحليل ورصد الصورة الثقافية التي تكونها الشعوب عن بعضها البعض في سياق شورت موضوعية معينة"¹. فهي حقل يعمل على رصد الصور و التمثيلات التي يرى بها المجتمع ما مجتمعا آخر حسب J.M. Carré و F.Guyard "الأجنبي كما يرى"². ويعرفها الناقد الادبي العالمي، هنري باجو، على النحو التالي: " هي التعبير الادبي أو غيره عن فجوة كبيرة بين نظامي الواقع الثقافي وهكذا فالصورة الأدبية هي مجموع الأفكار والمشاعر حيال الأجنبي التي تأخذ في خضم التكوين الادبي والاجتماعي"³

ومن هنا نلاحظ أن الدراسة الصورية ترتكز على عنصرين أساسيين وهما الناظر والمنظور إليه، لأنها تقتضي تفاعل هذين الطرفين (الناظر والآخر) فلا تتضح صورة الآخر الا من خلال رؤية الناظر له وطبيعة علاقتها به مهما كانت تلك العلاقة إيجابية أو سلبية.

من أهم المصادر التي تتشكل من خلالها الصورة في مجال الدراسات الأدبية هي:

1.1. الرحلة.

لعبت الرحلة دوراً مهماً في التعريف بالآخر نظراً لما تحمله من تجارب ومشاهدات تنقل خصوصيات الآخر سواء المادية كالعادات والسلوكات، أو المعنوية كطرق التفكير والميول والمعتقدات، وبالتالي هيأت لولادة "الصورة" من خلال كتب الرحلات التي سجلت مشاهدات الأدباء الرحالة، حيث شكلوا قناة للإرسال والاستقبال، فهم يبثون ما عندهم، ويستقبلون ما عند الآخر، فينتج تأثير وتأثر بشكل مباشر وبصورة مزدوجة. يُفترض في الصورة التي ينقلها الرحالة عن بلد ما أو شعب ما أن تتسم بالواقعية والعمق نظراً لوجود احتكاك مباشر، ولكنها في كثير من الأحيان نجدها زاخرة بالصور النمطية والأحكام المسبقة وسوء الفهم الثقافي...فضلاً عن سوء النية في ترويح الجوانب المعتمدة والسكوت عن الجوانب المشرقة. وعلى الرغم من كل ذلك فإن الرحالة كان لهم دور بارز في «تشكيل

صورة image أمة في أدب أمة أخرى من خلال رصدهم لطبيعة العلاقات التي تسود بين الأمم والشعوب، سواء كانت هذه الصورة إيجابية أو سلبية، تبعا للحالة والعلاقة القائمة بينهم. فإن كانت هذه العلاقة تشويها حالة من العداء كانت النظرة أو الصورة سلبية وإن كانت العلاقة تكتنفها حالة من الإعجاب والاندهاش كانت الصورة إيجابية مشرفة، يجري بناؤها من عناصر متباينة تمثل في مجموعها الحالة الفكرية والسياسية والاجتماعية، التي صدر عنها ذلك التصور⁴.

بقيت الرحلات الوسيلة الأولى لمد جسور التواصل وخاصة الرحلة إلى المشرق الذي صار قبلة للرحالة الأجانب وفضاء ملهما ساحرا بالنسبة إليهم. فنقلوا سحره في كتاباتهم وخاصة منهم الرحالة الفرنسيون، من أمثلة هذه الرحلات:

- رحلة الى الشرق، للرحلة جون تيفينو "Jean Thevenot" سنة 1665م
- رحلات الى الهند، للرحالة دولاهاي "Delahaye" سنة 1674م
- رحلات الى فارس، للسير جون شاردان "Sir Jean Chardin"
- زديج أو القدر "Zadig ou la destinée"⁵ للرحالة فولتير "Voltaire" سنة 1748م
- السراب الشرقي "Le mirage oriental" "للويس برتران" «Louis Bertrand
- رحلة "إيزابيل إيبهراردت" "Isabelle Eberhardt" إلى الصحراء الإفريقية التي خلدها في عملها «بلاد الرمال»⁶ سنة 1914م.

وقد نقل هؤلاء الرحالة انطباعهم عن عوالم الشرق في صور خلدت إعجابهم بمآثره من حضارة عظيمة، وطبيعة ساحرة وعادات فريدة لم يسبق أن عرفوها عند غيرهم.

1.2 الترجمة.

عرفها "دانييل هنري باجو" بقوله: «الترجمة هي التعبير اللغوي والأدبي عن تباعد بين ثقافتين وعن اختلاف، هذا الاختلاف هو بالتحديد الجزء المبدع والأصيل في حالة الترجمة»⁷.

تعتبر الترجمة وسيطا فعالاً ومهما في تشكيل الصورة، فهي بقدر ما تعبر عن تباعد بين ثقافتين، فإنها تفتح المجال للاحتكاك والتعارف والتفاعل بين الشعوب والأمم، كما «تعتبر رافدا من روافد الدراسات المقارنة بما تنطوي عليه من نقل للنصوص من أدب قومي إلى أدب قومي آخر، حيث تعتبر انتقالا لغويا وقفزا بالنص وهجرة به من نظام لغوي إلى نسق آخر ليعيش في إطار قومين مختلفين بما ينطوي على تلك الهجرة من أبعاد فكرية وأسلوبية وجمالية»⁸.

فاطلعنا على النص المترجم لا يقف عند حدوده اللغوية والأسلوبية، بل يتعداها إلى الظروف التي ولد فيها، والسياقات التي أفرزته بالموازاة مع تعرفنا على كاتبه والبلد الذي ينتهي إليه، بالإضافة إلى الثقافة والمنظومة الأدبية الخاصة به، فكل نص مترجم يحتفظ بالضرورة بالخصائص الأجنبية للنص الأصلي، مهما حاول الانصهار في ثقافة البلد المترجم. "إن دراسة تلك الخصائص وتحليلها هو الذي يحقق الاتصال بين الأمم، ويساهم في تشكيل الصورة لدى هذا الشعب عن الشعب الآخر".⁹

وكمثال عن ذلك نجد كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي بلغت شهرته الآفاق، وتعدت حدوده القارات بفضل ترجمة نصوصه إلى عدة لغات، مما ولد صورة لدى الآخرين عن أمم الشرق وفتح آفاقا للتواصل مع شعوبها.

1.3 الاستشراق "Orientalisme": ظهر هذا المصطلح في نهاية القرن الثامن عشر وتعود جذوره إلى لفظ كلمة الشرق "Orient ذات المصدر اللاتيني "Oriens والذي يعني "الشرق" أو "الشرق" في مقابل "الغرب"، إلا أنه أخذ منحى آخرًا منظور ازدواجي: الغرب المسيحي والشرق المسلم.¹⁰

فحركة الاستشراق تعني توافد الغربيين إلى المشرق لدراسة اللغات والمعتقدات والمؤلفات الشرقية، والتراث الشرقي بصفة عامة، وترجمته إلى لغاتهم، باعتباره كنزًا ثقافيًا فريدًا، إلا أن هذه الحركة تمت في بداياتها تحت غطاء ديني ممثلاً في الدراسات اللاهوتية ووفادة الحجيج المسيحيين الأوروبيين إلى الأراضي المقدسة¹¹، ثم تطور فيما بعد وأصبح يخدم أهدافًا استعمارية من شأنها التعرف على الآخر من أجل السيطرة عليه.

لذا رسم هؤلاء المستشرقون صورًا للشرق اتسمت في غالبيتها بغياب الموضوعية وتزييف الحقائق، فجاءت صورًا سلبية في مقابل صور أخرى إيجابية مبعثها الإعجاب والاندهاش بذلك العالم المليء بالسحر، والمثير للدهشة حسب ما ورد في كتاباتهم. فقد «أسهم أولئك المستشرقون في كتابة دراسات عن التراث العربي الإسلامي، فأخرجوا عشرات المخطوطات، واهتموا بالبرديات العربية ودرّسوا ظهور الإسلام وانتشاره وفلسفته، وترجموا القرآن الكريم واهتموا بقراءاته، واهتموا بالحديث النبوي، وصنفوا معجمًا مفهرسًا لألفاظه ودرسوا شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية، واعتنوا بالفلسفة الإسلامية ودرسوا علوم الحضارة الإسلامية، وفنونها، ولغاتها، وآدابها».¹² ومن أشهر المستشرقين نذكر: كارل بروكلمان، زيجريد هونكة، جاك بيرك، إدوارد لين، كراتشكوفسكي،

إتيان دينيه (نصر الدين دينيه)،.....الخ.

2 - الجزائر خلال العهد العثماني (1516-1830)

يعود انضمام الجزائر للدولة العثمانية الى فترة ظهور الاخوة بربروسة ونشاطهم البحري بالمتوسط وسواحل المنطقة المغاربية في القرن 16م. فقد استطاعوا وبالتعاون مع زعماء الطرق الصوفية بالجزائر تعبئة القوى لاسترجاع معظم المدن والحصون الساحلية التي كانت بأيدي القوات الاسبانية منذ بداية المد الصليبي الاسباني ضد المغرب الإسلامي، عقب سقوط مدينة غرناطة سنة 1492م. يعتبر تاريخ أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول (1512-1520) سنة 1519م، فترة مفصلية في العلاقات الجزائرية-العثمانية و بداية تاريخ الفترة الحديثة بالنسبة لتاريخ الجزائر¹³. خلال هذه الفترة أصبحت إيالة الجزائر قوة بحرية فرضت وجودها ليس فقط على مستوى البحر الأبيض المتوسط بل حتى على مستوى المحيط الأطلسي من خلال نشاط رياس البحر الذين صنعوا مجد العصر الذهبي للبحرية الجزائرية في القرن 17م على الخصوص.

كما عرفت إيالة الجزائر في تلك الفترة تنظيم سياسي محكم قائم على مركزية الحكم من خلال مدينة الجزائر التي أصبحت عاصمة جديدة للإقليم وبحدود ثابتة فرضتها طبيعة النظام السياسي العسكري بها من جهة، والتغيرات جيوسياسية والعسكرية التي عرفت العلاقات ما بين العالم الإسلامي العثماني والعالم المسيحي الغربي في منطقة الحوض الغربي للمتوسط.

كما عرف المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة ، بنية اجتماعية وثقافية مغايرة كان قوامها عدد من العناصر البشرية والاثنية وصلتها من فضاء البحر المتوسط وطعمت التركيبة الاجتماعية المحلية لتتحول الى مجتمع كوزموبولتي قوامه: فئة الاتراك الحاكمة، فئة أهل الاندلس، فئة اليهود السفراء (أو يهود اسبانيا)، فئة الاعلاج، فئة الكرا غلة، كنتاج للمصاهرة بين الاتراك الشرقيين و النساء المحليات ، وفئة السكان المحليين من عرب وبربر... وقد أفرز هذا الوضع السياسي والاجتماعي الجديد للجزائر، بيئة منقطعة النظير للتعايش الديني و اللغوي و المذهبي، ساهمت في ديناميكية التفاعل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين مختلف أطراف مجتمع إيالة الجزائر خلال العهد العثماني¹⁴.

1-2- فئة الانكشارية بإيالة الجزائر.

تكمن علاقة دراستنا بفئة الجيش الإنكشاري بالجزائر والبحث في رصيد تلك الأشعار التي أصبحت تمثل فعلا مجالا هاما ليس فقط لدراسة الموروث اللامادي للعنصر الاجتماعي التركي بالجزائر بل لمعرفة مجالات التأثير والتأثر الثقافي بين الأهالي المحليين والفئة التركية الحاكمة.

ترجع بدايات التواجد الإنكشاري بالجزائر الى قرن 10هـ/ 16م ، عقب انضمام الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية وتعين خير الدين بربروس أول بايلرباي على إيالة الجزائر المحروسة سنة 1519م.

بحيث أرسل السلطان العثماني، سليم الأول ألفي إنكشاري وأربعة آلاف متطوع من منطقة الأناضول وبحراجه نحو الجزائر والذي شكلت النواة الأولى لمؤسسة للجيش الإنكشاري بها¹⁵. نظرا لطبيعة النظام السياسي العسكري من جهة والصراع العثماني-الاسباني بالبحر الأبيض المتوسط من جهة آخر، جعل من قضية التجنيد وجلب الجنود المتطوعين من الأراضي الدولة العثمانية الشرقية، مسألة حيوية ومصيرية في نفس الوقت بالنسبة للحكام الاتراك بالجزائر على مدار ثلاث قرون من الزمن. هذا وقد عينت إيالة الجزائر وكلاء لها في كل من مدينة ازمير وباقي موانئ منطقة ايجيه من أجل السهر على عملية التجنيد وإرسال المتطوعين نحو الجزائر للخدمة العسكرية، سواء على مستوى الثكنات العسكرية وحصون النوبة الموزعة على طول مساحة البيالك الثلاث (بايلك التيطري بالمدينة، بايلك الشرق بقسنطينة وبايلك الغرب بوهران) وكذا للمشاركة في عمليات المحلة لاستخلاص الضرائب السنوية واستتباب الامن على مستوى تراب وحدود إيالة الجزائر على العموم¹⁶.

وللتذكير فان جل هؤلاء الجنود المتطوعين الذين قصدوا مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كانوا عازبا لغرض الخدمة العسكرية التي كانت تمتد مدتها ثلاثة عشرة سنة على العموم والتي يستطيع من خلالها، ذلك الجندي المتطوع البسيط الترقية في السلم العسكري الى غاية الوصول الى رتبة الأغا أو الداى وهي بمثابة المناصب العليا في الهرم السياسي والعسكري بإيالة الجزائر آنذاك. هذا ولم يعيش أفراد الجيش الإنكشاري في عزلة عن باقي المجتمع الجزائري، بل اندمجوا في أوساطه سواء بالمصاهرة مما سمح بظهور شريحة اجتماعية جديدة، عرفت باسم الكرا غلة أو عن طريق ممارسة النشاط الحرفي والتجاري عقب نهاية الخدمة العسكرية الاجبارية.

واستنادا إلى ما ذكر في هذا الموضوع ، يمكننا أن نستنتج من طريقة تجنيد الجنود الإنكشاريين المتطوعين بالجزائر أنهم لم يكونوا ضمن الجيش نظامي الذي خضع إلى تدريبات وتربى على مبادئ عسكرية بحتة، فعملية التطوع في حد ذاتها تكشف أنه كان للمتطوعين حياتهم الخاصة وتكوينهم الخاص بهم وهذا لا ينفي عنهم الثقافة أو الكتابة أو حتى نظم الشعر ولو كان شعبيا، فقد كان من بينهم الأئمة والحرفيون ورواد المدارس القرآنية وغيرهم، بالإضافة إلى ديوان الإنكشارية والذي كان يضم بين أعضائه الدائمين خوجة الديوان والمترجمين، وهذا كذلك يجعلنا نؤكد أنه كان من بين صفوف الجنود من يستطيع كتابة الأشعار والتغني بها أو حتى ترديدها والحفاظ عليها . ولا شك فقد ساهم ذلك التكوين الثقافي مهما كانت درجته في التعبير عن حياتهم وتصويرها من خلال القصائد والأشعار التي عبرت عن تلك العلاقات التي نسجوها على أرض الجزائر سواء مع الأهالي أو مع باقي الفئات الاجتماعية الأخرى.

3- التعريف بالمدونة (المخطوط العثماني) وتاريخها :

هي مجموعة قصائد شعرية تركية محفوظة بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية تحت رقم (1817) (1752) وتحتوي على أربع وستين صفحة، ويمكن تصنيفها ضمن ما يعرف "بالمجموعات الشعرية" أو "المجموعة" وهي جملة من الأشعار والقصائد التي كانت منتشرة في عدة ولايات عثمانية وفارسية في العهد العثماني، بل واستمرت هذه الطريقة في جمع وترتيب الأشعار الشعبية والقصائد في ولاية "القرم" La Crimée إلى غاية 1850 م وهي مدونة مكتوبة باللغة العثمانية من طرف الجنود المتطوعين أو الإنكشاريين الذين كانوا يتوافدون على إيالة الجزائر طيلة العهد العثماني .

ويمكننا أن نستشف تاريخ هذه المدونة من خلال الحيز الكبير الذي شغلته تلك القصائد المتعلقة خاصة بالحملة الإسبانية ضد مدينة الجزائر سنتي (1783.1784م) من طرف الأسطول الإسباني بقيادة الأدميرال "أنطونيو

بارسيلو" Antonio Barcelo وعليه فتاريخ المدونة يرجع إلى سنة 1784 م¹⁷.

1- التعريف بصاحب المدونة

تعود ملكية هذه المدونة العثمانية إلى "إبراهيم خوجة" أي الكاتب إبراهيم الذي شغل منصب كاتب أو سكرتير في عدة مؤسسات أو دواوين للدولة العثمانية. يخبرنا دفتر الدولة الجزائرية (بايلك) رقم 37 بوجود ثلاثة (3) إداريين أو كتاب كانوا يعيشون في هذه الفترة ويحملون اسم "إبراهيم خوجة"، وعليه فيمكن أن يكون صاحب المدونة قد شغل المنصب المذكور في الدولة الجزائرية وهذا حسب وثائق الأرشيف العثماني بالجزائر لهذه الفترة¹⁸ .

1- قد يكون "إبراهيم خوجة" شغل منصب كاتب "البنجك" أو كاتب ضريبة الخمس 5/1 التي كانت تأخذها الدولة على الغنائم البحرية الجزائرية وقد كان مسجلا في الغرفة التابعة للجيش العثماني بالجزائر رقم 194 في سنوات (1194هـ/1197هـ) (1780م/1782م) .

2- وهناك كاتب آخر يدعى "إبراهيم خوجة" تولى منصب كاتب الغنائم ما بين سنتي (1201 هـ/1208هـ).

3- وأخيرا قد يكون "إبراهيم خوجة" الذي تولى منصب كاتب للضرائب حول منتج التحرير (1198هـ/1199هـ).

لقد وُجد هؤلاء الكتاب الثلاث في دفتر المعاشات الخاصة بالجيش الإنكشاري المحفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، ورغم أننا غير متأكدين من الشخصية الحقيقية لصاحب المدونة المدعو "إبراهيم

خوجة" لكن على الأقل يمكن أن نؤكد أنه شغل "منصب علم دار" أو "سنجاق دار" أي حامل الراية أو السنجاق في المحافل أو المعارك، وهو منصب شرفي يعطى لأفراد الجيش ذوي المراتب العلمية أو المستوى الثقافي، أو على الأقل في إمكان الجندي الإنكشاري الذي يعتزل الخدمة العسكرية شراء هذا المنصب بـ 80 "صايمة" أي عملة جزائرية وقد كان "إبراهيم خوجة" تركي الأصل جاء الجزائر مجندا من بلاد الأناضول

2. محتوى المخطوط:

لقد استعمل في المخطوط الصفحتين كاملتين ففي الأولى كتبت أبيات القصائد الشعرية وعلى الصفحة الأخرى ملاحظات مختلفة، وقد تم تصنيف القصائد والصفحات من طرف أوري لكنه لم يراع التسلسل الصحيح للقصائد. والمخطوط مكتوب باللغة العثمانية ويحتوي على أربع وستين صفحة تحمل أشعارا وملاحظات حول حسابات يومية وأرقاما وحروفا أبجدية صوفية لها علاقة بعالم التنجيم وأسماء الله والملائكة بهدف حماية الشخص أو صاحب الكتاب من العين، بالإضافة إلى تعويذات وصيغ تجلب الزبائن ووصفات تقليدية تزيل الألم وتبعد الأذى.¹⁹

يعود ذلك النوع من القصائد الشعبية الذي كان منتشر في تركيا إلى الطابع الغنائي الشعبي أو الملحي، وتُعرف تلك الأغاني باسم "عاشق"²⁰ وهو نوع من الأشعار الغنائية التي كان يتغنى بها للأسياذ أو الطبقة الراقية المثقفة من طرف أفراد من العامة أو الشعب والتي كانت تُردد في الأسواق أو المقاهي أو في حلقات تحكي قصص وملاحم للتجربة الإنسانية في مختلف الأوضاع الاجتماعية والعلاقات الإنسانية (كالزواج والطلاق والجهد أو الصدق والحيلة والشر وعواقبه... إلخ) ويعني ذلك أنها تحمل رسالة اجتماعية تقدم للمستمع ليفهم القصة أو الأغنية الشعبية فيأخذ منها العبرة والنصيحة المقدمة من طرف الراوي أو مغني القصيدة الشعبية، وكان هذا الأخير عادة ما يحمل "الطنبورة" أو "المندولين" وهي نوع من الفيتارة التقليدية لإضافة صوت الموسيقى للشعر الملحون، وعليه فهو فعلا شعر ملحون وطبعا في هذا الشعر الشعبي لا تُحترم القافية أو الوزن الشعري كثيرا كما هو الشأن في القصائد الشعبية العربية أو الفارسية.²¹

ونجد في هذا النوع من القصائد الشعبية دائما ما يذكر اسم القائل أو المؤلف في آخر مقطع من كل قصيدة أو شعر شعبي بالعبارة التالية (كما قال المدعو) أو غيرها من الصيغ (المدعو...يقول...)، وهي تقنية شائعة أيضا في الملحون المغاربي عامة، وعرفت باسم التوقيع، ويؤتى بها عادة في آخر القصيدة، وقد يردفها الشاعر بذكر تاريخ تأليفها، إما بذكر التاريخ الهجري بالأرقام، أو بما يسمى حساب الجمل، أي حروف الأبجدية وما يكافئ كل حرف منها من أعداد ... من ذلك مثلا ما ختم به الشاعر لخضر بن خلوف قصيدته الشهيرة بـ "قصة مزگران".²²

3 . قصائد المخطوط ومحتوى أشعاره:

ما يهمننا من قصائد المخطوط هو تلك الأشعار أو القصائد الشعبية التي لها علاقة مباشرة بالجزائر والتي لها علاقة مع الواقع المحلي أو الطابع المحلي الجزائري. فقد قام المستشرق جون دوني بجمع تلك القصائد حسب المواضيع التي تطرقت إليها وليس بحسب المؤلف أو الشاعر الشعبي وبدون تتبع النظام التسلسلي للقصائد بالمدونة وها هي المواضيع المعالجة في المدونة²³:

- شكوى رجل وُجد عند امرأة متزوجة (خيانة زوجية).
- نصائح من طرف رجل صوفي معتكف بالجزائر، صاحب القصيدة يدعى شريف إبراهيم. (3.2)
- محنة الرجل المتزوج بالجزائر (7.5.4). القصيدة رقم 7 صاحبها يدعى نوري. Nouri. أما القصيدة 4 فتعود للشاعر دلي شريف.
- سعادة الرجل المتزوج بالجزائر رقم 6 لصاحبها المدعو نوري.
- حياة الجنود بالجزائر (رقم 9.7).
- غليان واستعداد الجزائر بسبب قدوم حملة الكفار (الإسبان) رقم 10.
- تكملة رقم 10 للكاتب دليراق شريف رقم 11.
- القهوجي للشاعر دليراق شريف (رقم 12).
- البرغوث للشاعر المدعو عمر (رقم 13).
- الدخان المطحون (دخان الشعرة) للشاعر نجاتي مصطفى (رقم 14).
- حملة الكفار (الإسبان) ضد الجزائر في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1790م) رقم (15.16.17.18.19.20) الشاعر صفرلي أغلو.
- هجاء وذم ضد عاشق من طرف المدعو كُور أغلو (رقم 27).
- قصيدة حبّ ممزوجة بأبيات باللغة العربية للمدعو دليراق (رقم 28) .

نلاحظ وجود بعض القصائد مجهولة المؤلف قد يكون كتابها من المغمورين وهذا من ميزات الشعر الشعبي، كما نجد عددا كبيرا من تلك الأغاني الشعبية التي تخص قضية الدفاع والجهاد عن

الجزائر ضد هجوم الدول المسيحية أو الكفار حسب الصفة التي استعملها الشعراء لوصفهم، وعددها 11 هجوما كلها دارت في فترة الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791م).

نلاحظ وجود بعض القصائد مجهولة المؤلف قد يكون كتابها من المغمورين وهذا من ميزات الشعر الشعبي، كما نجد عددا كبيرا من تلك الأغاني الشعبية التي تخص قضية الدفاع والجهاد عن الجزائر ضد هجوم الدول المسيحية أو الكفار حسب الصفة التي استعملها الشعراء لوصفهم، وعددها 11 هجوما كلها دارت في فترة الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791م).

نذكر أول حملة الدانمارك ضد الجزائر 1770م في شهر جويلية من طرف الأميرال "كاس" Kaas وبعدها حملة "أوريلي" 1770م وحملات "أنطونيو برسيلو" (1738. 1784م) هي التي دفعت الشعراء إلى كتابة قصائد المدونة الملقبة "بعاشق الجزائر".²⁴

كانت تلك الأشعار الشعبية أو القصائد الشعبية المدونة باسم "عاشق" منتشرة بتركيا في القرن 17م و يصف الرحالة العثماني المشهور "أوليا شلي" كيف كان الجنود الإنكشاريون الذين ينتمون إلى زعيمهم الصوفي "البقداشي يرددون تلك الأغاني الشعبية في المقاهي أو المخمرات لاحتساء شراب البوزة"²⁵ معروفا ويستهلك من طرف الجنود الإنكشاريين بقصبة الجزائر، وكان عادة ما يقوم ذلك الشاعر الجندي المغني حاملا طنبورة تقليدية لترديد الأغاني الشعبية في هذه المرافق التي يتجمع فيها الإنكشاريون للتسلية والاستراحة بعد المعارك التي خاضوها و كانوا يرتادونها لنسيان حرقتهم و حنينهم لوطنهم ا وهم في ديار الغرب. والأكد أن تلك الأغاني والقصائد المُرَددة على "طابع العاشق"، ساعدت على الحفاظ على تقاليدهم وعاداتهم التي جلبوها إلى أرض الجزائر، وبالتالي حافظوا على الرابطة الروحية والتقليدية مع الوطن الأم، وعلى تراث الأناضول المتنقل إلى الديار الجزائرية .

ومن بين أسماء بعض الشعراء في المخطوط: صفري أوغلو، وابن الشريف إبراهيم ونوري، وداليراق الشريف، ونقدي، وعمر... الخ وهي أسماء لجنود أتراك كانوا يغنون ويرددون تلك القصائد في مختلف الأماكن²⁶ .

4- ترجمة أشعار المدونة إلى العامية الجزائرية.

تمت ترجمة الاشعار المخطوط الى العامية الجزائرية في مذكرة الماستر بعنوان " صورة الجزائر العثمانية من خلال أشعار الإنكشارية (1516-1830)، نماذج مختارة ."²⁷ وكانت التيمات التي عالجتها هذه الاشعار ليست غريبة عن عالم الملحن الجزائري لكون خيال شعرائها كان خيالا شعبيا بامتياز و هو ما يقرهم أكثر من الذاكرة الشعبية.

- صورة الجزائر من خلال أشعار المخطوط

1. صورة المرأة: تمثل المرأة نصف المجتمع الإنساني، وهي الأداة الفاعلة فيه وأساس قيام صرحه العالي، ولأهمية دورها في سعادة الحياة أو تعاستها تناولتها مختلف الفنون التشكيلية والقولية. إن قصائد المخطوط لم تخل من تناولها، حيث كان لها حظ في بعض الأشعار، وذاك ليس غريباً لأن المدونة رجالية، أبدعها جنود عزّاب يعيشون وسط مجتمع غريب عنهم ... وبالتالي فإن نظرهم إلى نساء هذا المجتمع ستكشف عن أمرين في غاية الأهمية: الأول هو واقع المرأة الجزائرية كما تمثله هؤلاء الشعراء والثاني هو شخصيات هؤلاء الإنكشاريين وموقفهم من المرأة وما يتعلق بها من تيمات، كالزواج والطلاق والوفاء وخيانة. وقد ذكرت في خمس قصائد من أصل سبع وعشرين قصيدة نقل لنا الشعراء الإنكشاريون من خلالها صورة عن المرأة الجزائرية وقد تراوحت بين صورة إيجابية مشرقة وأخرى سلبية معتمة وهذا حسب السياق الذي وضعتها فيه تلك القصائد ألا وهو "الزواج".²⁸

أ. الصورة الإيجابية للمرأة المتزوجة

نقلت بعض القصائد صوراً إيجابية للمرأة المتزوجة، أين تغنى الشعراء الإنكشاريون في البيت الزوجية ووصفوها بالمرأة الفاضلة العفيفة التي تخلق السعادة في اتصالها بالطرف الآخر، وهذا ما يدفعه إلى الحفاظ على هذه العلاقة التي توفر له الراحة والاطمئنان والتماسك الأسري. فكان في هذه الأوصاف دعوة ضمنية للزواج من خلال انتقاد العزوبة. وهذه أمثلة من الأشعار تصف المرأة الجزائرية المتزوجة.

أوصافاً إيجابية.

﴿القصيدة الأولى﴾ سعادة الرجل المتزوج في الجزائر

1- الرَّجُلُ الّلي يَتَزَوَّجُ فِي جَزَائِرِ السُّلْطَانَةِ

2- يُولِي مَن غُلْمَانِ الْجَنَّةِ

3- أَوْ شَغْلُهُ يُولِي ذِكْرَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ

4- تَعْلَى قِيَمَتُهُ وَيُولِي بَوَابَ جَنَّةِ الرِّضْوَانِ

5- صَبَاحَ وَعَشِيَّةَ كُلِّ مَا يَدْخُلُ دَارَهُ

6- قَلْبُهُ يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحَةِ كَي يَشُوفُ عِيَالَهُ

7- يَنْحِي لِبَاسَهُ وَيَلْقَى رَاحَتَهُ

8- بحال السلطان عالي سنجاقه.

ب. الصورة السلبية عن المرأة المتزوجة

حملت بعض القصائد صور سلبية للمرأة الجزائرية المتزوجة، فظهرت هذه الصورة من خلال أوصاف مختلفة كالخيانة والمحنة والمصيبة وهي المرأة غير مرغوب بها وقد يرجع هذا الى عاملين وهما: -
إما أنهم لم يلتقوا نساء صالحات للزواج أو هي أوصاف متعمدة لتنفير الجنود الاتراك من الزواج ودفعهم للحصر على العزوبة لخدمة الجيش والسلطان العثماني وهذه أمثلة عن الصورة السلبية للمرأة المتزوجة من الأشعار المترجمة.

﴿القصيدة الثانية﴾ الخيانة الزوجية "Tekerleme"

- 1- كُنَّا فِي خَمْسَةٍ وَلَا خَمْسَطَاشٍ²⁹ دَخَلْنَا وَاحِدَ الدَّارِ
- 2- وَطَلَعْنَا لِلْفُوقِ أَوْرِيحَنَا شُوِيَهْ
- 3- اسْتَنِينَا صَحَابِنَا لَقَعْدُوا فِي الطَّرِيقِ يَلْحَقُوا بِنَا
- 4- بَالصَّحِّ بِالْخَفِّ شَفْتَنِي غَيْرَ أَنَا يَا وَاحِدَ لَعَمَى
- 5- وَين كُنْتَ عَلَى بَالِي يَصْرَالِي هَكَذَا؟
- 6- وَاشْ صْرَالِي رُحْتَ لِلصَّلَاةِ بِلَا وَضُوءٍ؟
- 7- وَاشْ جَابَنِي لَوْ كَانَ مَرَّتْكَ مَا طَلَبْتَشْ هَذَا!
- 8- وَإِذَا مَا أَمْنَتْشْ سَقْسِي مَخْلُوقَتِكَ كُْلَّشِي تَعَاوُدْهُ³⁰

﴿القصيدة الثانية﴾ تعدد الزوجات

- 1- وَاحِدَ ذَايِرْ زُوجِ عِمَامَاتِ فَوْقَ رَأْسُهُ
- 2- وَاحِدَ حَسَبِ وَاحِدَةٍ سَهْلَةٍ تَكْفِيهِ
- 3- يَا رَبِّي تَدْيِيهِمُ الْمَوْتَ عَلِيَا فِي زُوجِ
- 4- وَقَعْدَتْ حَاصِلُ بَيْنِ زَوْجِ نَسَا (لازمة)
- 5- وَحَدَهْ شَابَهْ مَخْلُوعَةٍ فِي رُوحِهَا

6- وحده مَزْعُوقَةٌ تَظَلُّ تُضْرَبُ فَيَّا

7- وَلَيْتَ مَذْلُولُ كُلِّ يَوْمٍ الزَّفَا عَلِيَّا

8- وَقَعَدْتُ حَاصِلَ بَيْنِ زَوْجٍ نَسَا (لازمة).³¹

ج. صورة الحياة الاجتماعية

عرفت الحياة اليومية في العهد العثماني حركة دؤوبة على مستوى الأزقة والشوارع، بفضل المحلات والمقاهي والساحات التي كان يرتادها كل أفراد المجتمع على اختلاف أصولهم ودياناتهم، وكان من بينهم الجنود الإنكشاريون الذين كانوا يتخذون هذه الأماكن مرتعا للراحة والترفيه عن النفس بعد عناء العمل والجهاد، ولكن جلساتهم لم تكن تخلو من القهوة والدخان وشَمَّة الأنف .

فقد ذهب الشعراء في قصائدهم إلى تصوير هذه الأماكن وهاته العادات، فظهر في قصيدة المدعو داليراق شريف وصَف (دخان السبسي)، وقام بتصوير المستهلك له بأنه يقضي وقته في ثقب أعواده في حالة مزرية والذباب محيط به، فلم تترك له هذه الآفة صحة ولا مالا، قد صور شحوب وجهه واصفراره بلون السفرجل، فصار جسمه نحىلا من سم الدخان الذي صار يجري مجرى الدم في عروقه، وحاجته للمال جعلته ينتف لحيته، لا شغل له غير مراقبة الناس، فلا يخفى عنه شيء في الحي وهذا دلالة على الفراغ والفاقة.

وبعد تصوير الشعراء لهذه العادات التي كانت سائدة في المجتمع يأتي دور المحلات التي كان يرتادها الأهالي، ومن بينها المقهى والقهوجي، فيذهب في ذلك إلي تصوير محله و الصبيان الذين يشغلون فيه بتخميص القهوة فيصفه بأنه مكان يرتاده العديد من الناس. فتظهر صورة المقهى من خلال الأشعار بأنه مكان يؤمه جميع أفراد المجتمع من سَوَّاح وجواسيس ّ، وشيوخ، وغيرهم فهي بالتالي صورة إيجابية تكشف عن تعايش فئات المجتمع الجزائري بأطيافها في صرح وكنف الدولة الجزائرية. فالمقهى هنا من الفضاءات الحضرية الحديثة نسبيا في المجتمع الجزائري، وهو مفتوح للرجال من كل الفئات، بصرف النظر عن انتمائهم وديانته

﴿القصيدة الرابعة﴾ بائع السجائر (الدخان)

1- منهم اللي قاعد يثقب في عود السبسي

2- ومنهم اللي الذبان على فمّه يحوم

3- المشتري قاعد ينتف في شعر لحيته، للمحل ما يدخلشي

- 4- وجهٌ اصفر ما يخالف لون السفرجل
- 5- ومنهم من حاط قابسه شمةً بحذاه ونيس
- 6- الشمة التي ما تخطيه، جسمه ذاب وسمها في عروقه يمشي
- 7- يمين وشمال، الماشي في الزنقة على عينه ما يخفى شي
- 8- يترجى المولى سبحانه يبعثله مشتري وفرحه

﴿القصيدة الخامسة﴾ القهوجي

- 1- واش من مديح نقول في القهوجي
- 2- عندو ثلث ميات فنجان من غير اللي راهم يدروا في المراح
- 3- وتسعة صبيان قاعدين يحمصوا في القهوة
- 4- واللي قاعد كالمحبوس باقي يدور على الديوان
- 5- في تزدامو ألف قطعة ذهبية مبصومة
- 6- من غير سبع ميات براني يطايروا كالتبن
- 7- وثمن ميات بدوي يجمروا في الكباب
- 8- ومن غير اللي جاي من الحرث والرحى.³²

د. صورة الجزائر دار الجهاد

نظراً لاقتران قدوم الجنود الإنكشاريين إلى الجزائر بحركة الجهاد وصدد الهجمات المسيحية عن سواحلها واستيراد هيبتها في حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد كان للجهاد ومحاربة العدو الحظ الأوفر من أشعار المخطوط، وقد ظهر ذلك في أكثر من عشر قصائد تغني فيها الشعراء الإنكشاريون ببطولات جيشهم، ومعاركه فوصفهم بالمجاهدين الغزاة، الذين يدافعون عن الوطن والدين دون هَوَاة، وبخل ما أوتوا من قوة، ولم يكتف الشعراء بوصفهم وإنما امتد ذلك ليشمل عدتهم وأسلحتهم الحربية. كما راح يصور الشعراء بطولة الجيش وبسالته في ميدان المعركة إذ لا يُثنيه عن الشهادة شيء، فهو يصور فرحة الجنود بالحرب وأملهم في الالتحاق بمقامهم في جنات النعيم، وهو ما يدل على خلفيتهم الدينية وتكوينهم الروحي. وقد أشرنا من قبل إلى انتمائهم إلى الطريقة البكداشية وتشبعهم بمبادئ محمد بكداش الأب الصوفي والروحي لهم.

ويذهب بعدها إلى تصوير المعارك ووصف نيران المدافع وهي تُرمى على الكفار في مواجهة أرمادة الإسبان خلال حملة من الحملات الثلاث التي تعرضت لها الجزائر على يدها فهو يصورها حارقة وقوية، صداها وقوة ضرباتها جعلت ملوك الإسبان في حيرة من أمرها رغم سفنها الكثير وسلاحها القوي.

في حين أن الغزاة المجاهدين يتصدون لهذا السلاح القوي وهذه الحملات بقلوب صامدة يشهون الجهاد بعيد الأضحى، قدماء الهدي تكون تلبية لأمر الله والتقرب منه، وأما دماء المجاهدين فهي تبذل في سبيل الله ورفع راية الإسلام، فهم يقابلون كور مدافع العدو بصدور مفتوحة ودماء لامعة كأنها اللؤلؤ والمرجان وكأنهم سباع ضارية لا يثنى عنها عن النصر شيء، وهذا نسبة إلى الثمن الباهظ الذي يدفع لنيل جنة الرضوان.

لقد ركّز الشعراء في نقلهم لصورة الجهاد والمجاهدين على الوازع الديني الذي كان محرّكاً لمُجريات الوقائع وبحكم أنهم جزء من هذا الآخر الذي واجه العدو فهم لم يتصلوا من خلفيات (الأنا) التي جاؤوا بها من بلاد الأناضول فشكّلوا بذلك تفاعلاً بين هذا (الأنا) و(الآخر) في التصدي للكفار والمعتدين ودحر الشرك والمشركين وحماية ثغور المسلمين من كل معتدٍ أثيم، والغاية في ذلك الشهادة في سبيل الله والفوز بجنة النعيم.

أهم القصائد الشعرية التي ردها وتغنى بها الجنود الإنكشارية هي تلك المتعلقة بصورة دارالجهاد الجزائر وتصديها بحزم وشجاعة للحملات الأوروبية وبالتحديد الهجمات الاسبانية في القرن 18 م وهذه عينة مختارة منها.

﴿القصيدة السادسة﴾ الكفار يشنون هجوما على مدينة الجزائر.

للشاعر صفري أوغلو

- 1- الكفار الجايين على الجزائر خبارهم واصله
- 2- ضد وطن الجزائر على وجه القرطاس مكتوبه
- 3- الرجال للحرب واقفين أو كلمة الله مسموعة
- 4- وباسم الدين المبين السيوف في السّما مرفوعة
- 5- سفاين الكفار جات من بعيد راهي باينّه
- 6- عسكر الإسلام جملتهم للبحر نازلين

7- سفاين لا نجون³³ محضّرين و للحرب واجدين

8- باسم الدين المبين السيوف في السّما مرفوعة

﴿القصيدة السابعة﴾ الهجوم الإسباني ضد مدينة الجزائر 1784م

1- ما شفتشي كيف الكفار علينا متآمرين، وحاسبين لبلاد سايبة!!

2- سبحان ربي العالي هو الليّ يعاونّا

3- في الجهاد والحرب يوم الجمعة بدينّا

4- أعلم وسطرّ على المعلوم، كحل موصوف

5- برج الفنار اصبغ مكان الجهاد والحرب

6- أحنا مانرجعوا للور قدّام لعدو

7- سلطان السبانيول شرّيناه كاس السّم ومرارته

8- أعلم وسطرّ على المعلوم ياسلطان!!³⁴

﴿القصيدة الثامنة﴾ الجهاد ضد الإسبان وقوة الجزائر البحرية للشاعر نقدي « Nakdi ».

1- ياسلطانّا شوف شويّة احوال السبانيول، قعدوا حيّارى

2- من شجرة الزقوم شرّيناهم هاذ السبانيول

3- ربّي سبحانه قهر الكفار ونصر الحقّ واهل الإسلام

4- لوكان شفت كيفاش قامت القيامة على زووس السبانيول !

5- هذا العدوّ الله يخزيه في شباكنا طاح، راني نحكي عليه

6- ببركة المرابطين والأولياء الصالحين لساناتهم قعدوا مبكمين

7- ضربناهم بمدافع ما عرفوها، وسُحورهم ما فاد معاها

8- وعرضنا الغربان على جثث السبانيول

9- ربي مولانا يعلم يا نقدي، ثمن أيام حرب كبيرة ليها قايمين

10- تسعة وعشرين بابور تاع الكفار في البحر غارقين

11- تاريخ الوقعة حسبناها الألف والمية وثمانية وتسعين لاحقة

12- هكذا تاريخها سطرناه على شاهد قبر السبانيول كتبناه.

الخاتمة

رصدت الأشعار التي كتبها وأحس بها هؤلاء الجنود الاتراك وهم في بلدهم الثاني في فترات مختلفة من القرن 18 و 19م، قد رصدت صورة حقيقية للحياة اليومية للجندى الإنكشاري بالجزائر من علاقات اجتماعية وظروف سياسية وهجمات عسكرية وأحوال نفسية واجتماعية يسودها شعور الغربة والحنين إلى الوطن الأم. كلها مشاعر صورتها تلك القصائد الشعبية التي ردها الجنود الاتراك. ومن خلال دراستنا نستنتج.

1- أن الجنود الأتراك العثمانيين بالجزائر اتخذوا من الجزائر وطنًا لهم بحكم أن العالم آنذاك كان منقسمًا إلى دار الحرب ودار الإسلام، والجزائر كانت جزءًا من دار الإسلام فتغنوا بالسلطان ودايات الجزائر وركزوا وهذا الأهم على صورة الجزائر كدار للجهاد لصد الحملات الغربية وحماية دار الإسلام.

2- الطابع الصوفي الذي كان ملازمًا للحركة الجهادية سواء بالنسبة لحكام الجزائر أو الجنود الأتراك الذين اتخذوا من الجزائر دارًا للاعتكاف والتصوف بذكرهم الأولياء الصالحين بالجزائر وكراماتهم، وكعنصر هام في عقلية المجتمع الجزائري آنذاك.

3- كما نستشف روح التسامح والتعايش بين مختلف فئات المجتمع الكوزموبوليتي الذي عكسته مصطلحات لغة الفرنكة الدخيلة على لغة الأشعار وذكرهم لمختلف العناصر البشرية التي كوّنت المجتمع الجزائري آنذاك.

4- وأما الجزائر التي أصبحت عاصمة للدولة الجزائرية في الفترة العثمانية، لم يهملها الشعراء من خلال حمل صورة إيجابية تغنت بجمالها وطبيعتها ومياهها وعمرائها وأزقتها وشوارعها وحتى أبراجها وساحتها، فلم يغفل الشعراء من جمالها شيئًا مما يدل على أنها كانت مدينة جذابة يطيب العيش بها.

- 5- وفيما يخص المرأة فإننا نستنتج أن الأشعار اكتفت بتصويرها تصويراً معنوياً فقد ذكر جمالها ومحاسنها وطباعها وحتى مساوئها من دون أي يُجرّح في شكلها، أو حتى التغزل بها وهذا راجع إلى الخلفية الدينية الإسلامية التي يحملها كلا الشعبين فيما يخص المرأة ووضعها في المجتمع.
- 6- لم تنصل الأشعار من إبراز حضور العنصر التركي الذي كان يمثل قوة وسلطان الدولة العثمانية بالجزائر، ومكانه في الهرم الاجتماعي لأن بيده مقاليد الحكم، والطبيعة العسكرية للنظام جعلت الأشعار تضعه في موضع الحاكم والفئات الأخرى في موضع الرعية.
- 7- انفتاح الشعراء على اللغات واللهجات المختلفة والدليل هو التزاوج اللغوي بين العثمانية والعربية وهي صورة من صور التأثير والتأثر اللغوي والأدبي بين الشعبين بامتياز.
- 8- جاءت قصائد المدونة على نمط المربع: "الرباعيات" واعتمدت على أبيات من قياس (5 + 6) مقاطع صوتية وهذا النمط مغاربي بامتياز، وقد أخذ الشعراء الأتراك من الجزائر بفضل اطلاعهم على روائع الملحون وطبوع الغناء المحلية.

قائمة المصادر والمراجع

- الزهار، أحمد الشريف: مذكرات نقيب أشرف الجزائر (1754-1830) ، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط، 2. 1980
- المدني، أحمد توفيق: الداوي محمد بن عثمان باشا، داوي الجزائر 1766-1791، سيرته الحربية، أعماله ونظام الدولة والحياة العامة في عهده. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986
- باجودنيل، هنري، الأدب العام والمقارن، تر. غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997،
- بن موفقي محمد. " الصراع الأوربي الجزائري) – الحملات الأسبانية على الجزائر (1775-1783) مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد 10، جامعة الجلفة، 2018.
- باجودانييل، هنري: الأدب المقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997
- توفيق، دحماني، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر، وثائق تنشر لأول مرة، الدار العثمانية، 2009
- خليفة، حماش، " تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة لأمير عبد القادر قسنطينة، ع2. مارس 2003
- ذاكر، عبد النبي: الصورة.... الأنا، الآخر. منشورات الزمن، المغرب، 2014.
- رزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519-1830 م. دار الكتاب العربي، الجزائر،
- سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ، مقارنة اجتماعية- اقتصادية، دار القصة للنشر والتوزيع، 2001
- مراح ليلي، نازف حفيظة: صورة الجزائر العثمانية من خلال أشعار الإنكشارية (1516-1830)، نماذج مختارة. مذكرة الماجستير. جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله. كلية اللغة العربية وآدابها. سنة
- مريوش أحمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني. الجزائر، 2007
- ، 2017-2018.
- مزوني، زهرة، صورة اليهودي في الشعر العربي المعاصر (1948-1987)، رسالة ماجستير، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر. 2000-2001
- غطاس عائشة. الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها. منشورات المركز الوطني للحركة الوطنية، الجزائر، 2007

عبد الجليل التميمي " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر سنة 1519 م " المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، تونس. 1976

ودان بوغفالة. المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، رائد الدراسات العثمانية في الجزائر. مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر 2014

وشان، حمزة: صورة الجزائر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف. 2014-2015.

Jean Deny : « Chansons des Janissaires Turcs d'Alger (Fin du XVIII » in, RENE. BASSET, Études Nord-Africaines et Orientales, . Mélanges par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Tome II Paris 1925

Köprülü Mehmet Fuad « Cezayir türk şairi Benali hakkında. Hayat mecmuaci, 61, 1928.

Kurnaz, Cemal ; « Asker Şairlerinin dilinden Cezayir » in, Alemdar Yalçın armagani, ed. Akçag, Ankara, 2018, pp. 188-206.

- 1 - عبد النبي ذاكر، الصورة، الآن، الآخر.. منشورات الزمن، المغرب، 2014. ص. 26
- 2 - دنيل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر. غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص. 86
- 3 - زهرة مازوني، مزوني، زهرة، صورة اليهودي في الشعر العربي المعاصر (1948-1987)، رسالة ماجستير، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر. 2000-2001 ص. 7
- 4 - حمزة وشان، صورة الجزائر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف. 2014-2015 ص 26-27
- 5- ينظر: حمزة وشان، صورة الجزائر... المرجع السابق، ص ص 29-30.
- 6 - حمزة وشان، صورة الجزائر... المرجع السابق، ص 32.
- 7 - دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، المرجع السابق، ص 61.
- 8 - حمزة وشان، صورة الجزائر.... المرجع السابق، ص 21.
- 9 - المرجع نفسه، ص 22
- 10- حمزة وشان، صورة الجزائر.... المرجع السابق، ص 34 .
- 11- المرجع نفسه، ص 35.
- 12 - المرجع نفسه، ص 37
- 13 عبد الجليل التميمي " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر سنة 1519 م " المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، تونس. 1976، ص. 118 هشام سوادي هاشم: "الجزائر في الذهنية العثمانية: قراءة لموقف الدولة العثمانية من الجزائر في ضوء مناهج دراسة التاريخ في المدارس العثمانية" في كتاب: ودان بوغفالة. المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، رائد الدراسات العثمانية في الجزائر. مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر 2014. ص. 191-192 .

- 14 - حول الوضعية الاجتماعية للإيالة الجزائرية في العهد العثماني، انظر: غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية-اقتصادية، " المنشورات الجامعية، الجزائر، 2007 ص. 7-52. صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830. دار هومة للنشر، 2012، ص. 356-362 . أرزقي شويتم: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519-1830 م. دار الكتاب العربي، الجزائر. ص. 584
- 15 - غطاس عائشة. الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها. منشورات المركز الوطني للحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص. 69-70
- 16 - غطاس عائشة. نفس المرجع (2007) ، ص. 75-76. خليفة، حماش، " تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ع2. مارس 2003، ص. 31. توفيق، دحماني، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر، وثائق تنشر لأول مرة، الدار العثمانية، 2009، ص. 20.
- 17 - حول الحملات الأسبانية ضد الجزائر (1775 و سنتي 1783-1784) يمكن الاطلاع على المراجع التالية: أحمد توفيق المدني. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص. 529، نفس المؤلف. محمد عثمان باشا (داي الجزائر 1766-1791) سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص. 191. بن موفقي محمد. " الصراع الأوربي الجزائري) –الحملات الأسبانية على الجزائر(1775-1783)، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد 10، جامعة الجلفة، 2018، صص. 83-94.
- 18 Jean Deny : « Chansons des Janissaires Turcs d'Alger (Fin du XVIII » in, RENE. BASSET, Études Nord-Africaines et Orientales, . Mélanges par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Tome II Paris 1925 – (pp. 33-175). Şukru, Elçin ; Akdeniz'de Cezayir'de Türk halk şairleri. Ankara, 1988. Pp. 279
- 19 Jean Deny : Chansons des Janissaires Turcs d'Alger ,p38
- 20 - مصطلح " عاشق" التركي ، هو الذي تسرب . على الأرجح . إلى مصطلحات الملحنون الجزائري، و دلّ على القصائد الوجدانية عامة ، دون تخصيص الغزل ، كما قد يتبادر إلى الذهن من خلال دلالة اللفظة في العربية [العشق].
- 21 Jean Deny ، p40-41
- 22 - مراح ليلي ونازف حفيظة: صورة الجزائر العثمانية من خلال أشعار الإنكشارية 1516-1830 نماذج مختارة. مذكرة شهادة الماستر. كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله. السنة الجامعية 2016-2017. ص. 92
- 23 -مراح ليلي ونازف حفيظة. نفسه، ص. 80
- 24 Jean Deny : P52
- 25 -يستخرج هذا الشراب من عصير الذرة البيضاء وكان يستهلك بكثرة من قبل الجنود الإنكشارية بالقصبة الى حد أن أحد شوارع القصبة كان يدعى ب زنقة البوزة.
- 26 - مراح ليلي ونازف حفيظة. نفس المرجع. ص. 81
- 27 - مراح ليلي ونازف حفيظة: صورة الجزائر العثمانية من خلال أشعار الإنكشارية 1516-1830 نماذج مختارة. مذكرة شهادة الماستر. كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله. السنة الجامعية 2016-2017
- 28 -مراح ليلي ونازف حفيظة. نفس المرجع، ص. 82
- جون دوني في ترجمته للمدونة ترجم البيت الأول بذكره مجموعة من الأشخاص في حين النص الأصلي ذكر العدد خمسة 29
- Cemal, Kurnaz « Asker Sairlerinin dilinden Cezayir » in ; Alemdar Yalçın armagani, Ed. Akçag". Ankara, 2018 pp. 188-206/

30- أنظر باقي أبيات القصيدة في مذكرة الماستر، مراح ليلي ونازف حفيظة. نفسها، ص. 92-93.

31- هذه القصيدة للشاعر الإنكشاري التركي دلى الشريف. مراح ليلي ونازف حفيظة، نفس المرجع، ص. 96

32- Jean , Deny . « Chansons de Janissaires turcs d'Alger (fin du XVIIIe siècle) In ; Mélanges René Basset, Paris, T.II, 1925.P.88,

33 - لانجون " Lancun " نوع من سفن الحرب الخفيفة واصلها إسباني " Lanchas " وقد استعملها الإسبان في حربهم ضد الجزائر، فهي تحمل عدة مدافع ويمكنها التقرب بسرعة تحت أسوار مدينة الجزائر، أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا، داي الجزائر 1791-1766. المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 ص ص. 106-107. أنظر كذلك: Köprülü Mehmet Fuad « Cezayir türk şairi Benali hakkında. Hayat mecmuaci, 61, 1928.

34 - مراح ليلي ونازف حفيظة. نفس المرجع، ص. 115